



2014/15

احمد المقدم يقول:



1961/63

رجعتي الذكريات للي فات من حكاية لحكايات

جرت العاده عندما يطلب من شخص ما أن يكتب شيئا عن ذكرياته لفترة ماضية او لحدث ما في حياته أن يبدأ بمقدمه عنه وعن حياته واهتماماته وإذا كان المطلوب ان تكون الذكريات لها علاقة خاصة بتخصصه أو مهنته ففي هذه الحالة تكون لغة الذكريات في غالب الأمر هي لغة المهنة والتخصص.

ولكني هنا أطلب منكم أن تسمحوا لي- وبكل تواضع -أن أتجنب هذ المنهج وتقبلوا مني ما يمكن عدم اعتباره منهجا علميا وخاصة في مناسبة احتفالية ذات طابع خاص ، من حيث كونها احتفالية علمية، تحكي قصة "مؤسسة علمية" منذ تأسيسها ، حققت إنجازات علمية باهرة وأنجبت شخصيات بارزة ومنجزة اعتلت منصات لم تكن مصريه فقط ، بل تعدتها عربيا بل ودوليا .

١- مين أنا عاوز اعرف

لذا اکتفي بتقديم نفسي تقديما مبسطا ، وان كان يمثل، في قلبي وعقلي اهم المواقع وأكثرها تأثيرا ، بل انني اعتبر هذا التعريف المبسط هو اهم ما لدي وأعظم ما اشعر به:

تقديمي لنفسي هو:

انا مصري في المقام الاول والأخير.

هي موطني وانتمائي ووجودي.

عاشق ... مولع بها .. وليس عندي عشق غيرها.

هي أمي وابي وجدي وجدتي.

هي مولدي وماوأي وحياتي ومرقدي.

هي حبي الاول .. حبي الدائم.. وحبي الأخير .

وقد يبدو هذا تقديما عاطفيا لموضوع يتعلق بالذكريات ولكنه في الحقيقة هو مصدر كل الذكريات ومنبع ايه إنجازات وبدونه يكون خاليا من كل أساس او إطار ، فالانتماء هو الأساس ، والعقل بدون احساس هو فكر بلا شعور يتلاشي مع الأيام وينتهي مع العصور.

٢- من هنا نبتدي الحكايه : وطني حبيبي

ومن هذا المنطلق - منطلق العقل والعاطفة- أقول من هنا نبتدي الحكاية واردد مع العندليب الأسمر:
"رجعتيني الذكريات للي فات.. من حكاية لحكايات.. رجعتني سنين بعيدة.. والجيران من كل جانب.. كانوا أكثرهم اجانب .. والعجائب.. أني كنت حاسس اني انا وأهلي الأجانب"

ومن هنا كانت اول حكاية في ذكرياتي عندما تم تعييني في كلية الاقتصاد سنة ١٩٦١ وكان سني عندئذ عشرون عاما والذي تركز علي الوازع الوطني لدرجة الغليان ولكنه لم يكن غليانا وطنيا معتادا، يقتصر علي الشعارات والحركات والتنظيمات، بل انه كعادة مصر ذات الابتكار الدائم : كان جديدا من حيث كونه ممثدا لوطنية الفن في كافة اشكاله.

ففي تلك الفترة نجح الفن المصري وخاصة الموسيقى والغناء، نجح فيما فشلت فيه عديد من المبادرات من التبني والإثبات الواقعي للمفهوم الحضاري والثقافي، والفني لفكرة " مصر الكبرى" رغم احداث الانفصال في تلك الفترة.

فكان محمد عبدالوهاب وأم كلثوم رمزا لعظمة مصر، وخلودها، حيث تعدي فهما- في تلك الفترة - وخاصة الوطني منها - حدود مصر لمسافات بعيدة.

اما العندليب الأسمر، فقدم قصة حياه - هي حياته- لتلخص - قصة حياه مصر- في ديمومتها واستمرارها في الابتكار رغم المعاناه والتي هي تماما قصة حياته.

لذا قدمت الاغنية الوطنية الحليمية، مزيجا من "الحقائق التاريخية الوطنية"، والشعور الوطني الفياض، الذي اخترق العقل والقلب، في ان واحد، واستقر فيهما ليسكنها في قلب كل مصري علي قيد الحياه مهما كان موقعه في الكرة الارضية .

ان هذا المناخ الوطني الفياض وبفنه الوطني الخلاق ، كان هو المناخ العام الذي ميز ذكرياتي، - في اهم مكوناتها- عندما بدأت عملي منذ خمسة وخمسون عاما، ومنه كانت علاقتي مع الطلبة، في ذلك الوقت علاقة " علمية وطنية" هدفها مجد مصر، وعظمتها .

٣- أنا قبطي مسلم : علي ارضها طبع المسيح قدمه

ويأتي في ذكرياتي، ما أسميته، فيما بعد بعنواني، وهو " انا قبطي مسلم" والذي يعكس عمق حقيقتين ثابتتين في حياتي، وهما الوازع عين الوطني والديني وبحيث، يلتصق الوازع الوطني بكافة مكوناته وأبعاده بوطني مصر، اما الوازع الديني فيستند الي عنواني والذي يستند فيه قبطني، علي مصريتي- من ناحية- حيث ان الكلمتين مترادفتان، وتعنيان " مصر" بلغتين ، ومن ناحية اخري الي " عيسوتي ومريمي" هذا بالاضافة الي كوني مسلم افخر بإسلامي .

ورغم ان هذا العنوان جاء بعد ما يقرب علي نصف قرن من عملي في كليه الاقتصاد الا ان من اهم أسباب اختيار هذا العنوان كانت شخصيه قبطيه كان لها التأثير الأكبر علي تفكيري ومبادئى ، وهي شخصيه المرحوم الاستاذ وهيب مسيحه، رحمه الله، والذي كان رئيساً لقسم الاقتصاد ووكيلا لكليه تجاره و كليه الاقتصاد علي التوالي.

لقد تعلمت الكثير، ولازلت اتعلم في مصر وفي خارج مصر، غير ان وهيب مسيحه ظل المؤثر الاول والاهم في حياتي العامة والاكاديمية . لقد كانت محاضراته " قصيده شعريه ولغويه فريده ومضمون فلسفي عميق وأيدولوجية مميزه وماده اقتصاديه دسمه" فتعلمت منه الكثير. تعلمت منه ان "اللغه" لها أهميتها القصوي في نقل الأفكار ، وان يكون المضمون موضوعيا لاشكلي، واهم من ذلك ان "الحرية" هي أساس لا بديل له وان الاقتصاد هو فلسفه في تفهم السلوك الاقتصادي للإنسان ، وليست مجرد ماده يتم تجميعها او تدريسها فقط.

ومن مدعاه فخري واعتزازي ان وهيب مسيحه تبناني وجعلني احد معاونيه، بل انه عند وفاته في منتصف العام الدراسي أوكل الي الدكتور احمد ابو اسماعيل مهمه استكمال محاضراته، وكان تبنيه لي نموذجا للتعايش الديني وإثباتا عمليا للنموذج الطبيعي لابناء الوطن الواحد، وان السلوك المخالف يمثل انحرافا وتطرفا لا أساس له في اي دين. بل اكثر من ذلك فعند وفاته ترك لي هديه اعتر بها اكثر من غيرها، وهي نسخته الشخصيه من كتابه "فلسفه الاقتصاد" والذي لم اجد له مثيلا حتي الان.

٤- مصر علمت العالم

اما الحكايه الأخرى فيبدو لي الان انني اذا نظرت الي الماضي ففي الإمكان تفسير ذكرياتي في هذه الحكايه باعتبارها كانت منهجا تعليميا، كان الهدف منه " تأمين وتحصين وطنيتي" في مواجهه آيه إغراءات او تغييرات قد تحدث في حياتي. وعلي وجه الخصوص ان سافرت الي الخارج لاتعلم ثم تحدث ظروف تجعلني ابقى في الخارج. وبنظره فلسفيه يمكن القول ان هذا المنهج التعليمي كان يهدف الي ان استمر مقتنعا أنني " لم اترك مصر" مهما طالت السنين، وإنني سأظل أردد مقاله العندليب:
" لو مت يا أمي ماتبكيش راح اموت علشان بلدي تعيش"

قامت كليه الاقتصاد في ذلك الوقت بعمل رحله سياحية الي مدينتي الأقصر وأسوان ونظراً لقربي من الطلبة والطالبات فقد تم اختياري لأكون عضوا لوفد الكلية كمساعد للدكتور احمد ابواسماعيل، وايضاً لأقوم بدور مساعد لمهمه حراسه كانت مرتبطه لإحدى الطالبات.

فكانت فرصه مميزه لتعميق معلوماتي عن تاريخ مصر القديم. فكان ما رأيته فاق كل ماكنت اعرفه. رأيت عملاقا منذ بداية التاريخ ومبتكرا منه كانت بدائع كل شيء واليه يعود كل شيء. رأيت شعبا لامثيل له، قادر علي مواجهه كل التحديات، قاهر لكل مايحلوا له التعدي عليه، جميلا لا نظير له، جامعا لكل الصفات والموصفات .

ومره اخري جاء العنديلبي ليذكرني بشيء لن أنساه:

" بالاحضان بالاحضان يابلادنا ياحلوه بالاحضان
بميعادك يتلم ولادك يا بلادنا وتعود اعيادك
والغائب مايطفش بعادك يرجع ياخذك بالاحضان.

٥- وطني حبيبي: الوطن الأكبر

اما الحكايه الأخرى فهي حكاية مزدوجة ، تعود بدايتها الي الوقت الذي كنت اعمل فيه في الكليه، ثم يكتمل بعد مايزيد عن عشر سنوات بعد سفري الي إنجلترا في أكتوبر عام ١٩٦٣ . كانت كليه الاقتصاد بعد تأسيسها مشهوره رياضيا بفريق مميز لكره القدم وكان احد لاعبيه في ذلك الوقت من دوله الإمارات العربية وكان مشهورا بلعب الكره بطريقه غير عاديه!

وتمر السنين ويتم اختياري عضوا لوفد أمريكي استشاري لزيارة منطقه الخليج العربي في بدايه السبعينات . وكان في برنامج الزياره مقابله مع وزير خارجيه الإمارات حينئذ . وهنا كانت المفاجاه بان يحتضني سعاده وزير الخارجيه ونقضي وقتنا ليس بالقصير نستعيد فيه الذكريات وأجمل الأيام الرياضيه وغيرها التي عاصرناها سويا في كليه الاقتصاد.

٦-ختامه مسك: أنا لم اترك مصر ابدا

هناك عديد من الذكريات التي لايسع المجال لسردها والتي ستنشر في اخر كتبي قريبا وموضوعه انه بعد مايزيد علي نصف قرن خارج مصر، فلم اتركها أبدا وسيكون لي شرف ان أدفن في ارضها المقدسه الطاهره.

وفي الختام فإنني أشفع لكم اذا وجدتم انفسكم في حيره من امركم بعد قراءه ماكتبت في ظروف صحيه صعبه. غير أنني سأفهم اذا فضلتم عدم الصمود في قراءه ماكتبت. غير انني اؤكد لكم ان كل "كلمه" خرجت من فمي بدأت من "عقلي" ثم مرت "بقلبي" قبل ان يتناولها "قلمي" ، وهي صادقه ومخلصه ومتعقله بقدر الإمكان ، وان كانت حافله بالعواطف، معبره عن قلب لا يعرف غير الحب ولايعترف بغيره، وخاصة عندما يكون جوهر الحب هو بلدي... مصر.. حبي الاول.. حبي الدائم و حبي الأخير

.....